«المسائل الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية لدى ابن خالويه من كتابه: إعراب ثلاثين سورة من القران الكريم

أحمد فليح*

تاريخ تقديم البحث: ١٩٩٨/٣/٢ تاريخ قبوله للنشر: ١٩٩٨/٩/١٥

Abstract

"The phonetic, syntactic, morphological, and linguistic points of view presented by Ibn Khalawaih / in his book An Inflectional Study Of 30 Suras of The Holy Quran".

The study surveys the phonetic, syntactic and linguistic issues raised by - Ibn Khalawaih / who died in the year 370 Hijrah, in his above mentioned book.

The study tackles prominent syntactic terminology he utilizes, his approach to certain common syntaxtic issues and his methodology in highlighting inflectional matters.

Moreover, the study emphasizes most of the phonetic and morphological issues he stressed in an analytical manner. It also detects Ibn Khalawajh's methodology of substantiating the linguisttic rules through vivid linguistic texts which were dealt with comprehensively highlighting all morphological syntactic, semantic and stylistic functions.

ملخص

يشخص البحث أظهر المسائل الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية لدى ابن خالويه المتوفى (سنة ٣٧٠هـ)، التي ضمنها كتابه الموسوم:(إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم).

عرض البحث حل المسائل الصوتية والصرفية التي ألح عليها ابن خالويه. ثم عرض المسائل الرئيسة في المعالجات النحوية التي تشكل المقصد الرئيسي فأبرز المصطلحات النحوية الدائرة في المصنف، ورصد المسائل النحوية التي تفرد بها، ثم أبرز منهجه في آلية الإعراب ثم رصد المسائل اللغوية التي استظهرها ابن خالويه لإغناء المعالجات النحوية وهي ثرة مستفيضة، تكسب الدرس أريحية وشفافية وواقعية. وانكشف للبحث بأخرة منهج ابن خالويه المتسم بإقامة الدرس اللغوي في ظلال نصوص لغوية حية معيشة، ومعالجتها معالجة شاملة تجلي النص، وتضيء جوانبه كافة. فاتسم النص بالوضوح، والمعالجة بالتطرية والإنداء، وهو منهج حري بالاقتفاء.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة جرش الأهلية، الأردن.

توطئة

لعل من المفيد أن نقدم فذلكة مشخصة لحياة ابن خالويه.

هو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان الهمذاني الأصل، البغدادي المنشأ الحلبي المسكن والخاتمة. نشأ في همذان، ثم وفد إلى بغداد سنة أربع عشرة وثلاثمائة فأخذ النحو واللغة والأدب، وعلوم القرآن والحديث، وغيرها من الفنون على يد أعلامها الكبار، ثم انتقل إلى الشام، واستوطن حلب، واختص بسيف الدولة، وأولاده ولقي التكريم من لدنهم. ومن أظهر شيوخه الذين تلمذلهم ابن دريد، ونفطويه،وابن الأنباري ومحمد بن مخلد العطار، وأبو عمر الزاهد، وأبو سعيد السيرافي [1].كانت بينه وبين المتنبي مناقشات حادة، وكانت بينه وبين أبي علي الفارس النحوي منافسة، وملاحاة.

له مصنفات جمة من أظهرها: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم وكتاب الألفات، والحجة في القراءات السبع وكتاب ليس في كلام العرب، ومختصر في شواذ القرآن، وشرح ديوان أبي فراس الحمداني، ورسالة في أسماء الريح، وشرح مقصورة ابن دريد، وهي كلها مطبوعة متداولة. وله جمهرة أخرى من المصنفات ذكرت أسماؤها منثورة، ولما تصل إلينا. توفي، رحمه الله، سنة ٣٧٠ هـ.

والمصنف الذي يظهرنا على جل منظوراته الصرفية والنحوية والدلالية ومنهجه في الإعراب هو إعراب ثلاثين سورة، إذ استفرغ فيه جهوداً مشهودة في الدرس تسعف في تجلية الآيات الكريمة فهو كما يقول: ذكرت فيه إعراب ثلاثين سورة من المفصل بشرح أصول كل حرف وتلخيص فروعه، وذكرت فيه غريب ما أشكل منه وتبين مصادره وتثنيته وجمعه، ليكون معونة على جميع ما يرد عليك من إعراب القرآن إن شاء الله [2] .

عاش ابن خالويه في القرن الرابع الهجري، وقد تسنمت الدراسات النحوية واللغوية متبوأ سامقاً، فاستوت وآتت أكلها يانعة دانية قطوفها. وقد تقدمته دراسات نحوية ولغوية مستفيضة يمكن أن ينهل منها، ويتوكأ عليها، ويتهدى بها وثمة فرق شاسع بين الدراسات الريادية البكر، التي يتذرع لها بالحذر والتحرز، وتلك التي تكون مسبوقة بمرجعيات

متراكمة قد تقلل العثار. سلكه ابن هشام في المغني، في زمرة النحويين الضعفاء قال في معرض كلامه على واو الثمانية: ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه (٣).

وغلطه مرة أخرى في قوله: لظرُف زيد، بمعنى : ما أظرفه، فرفض رأيه قائلاً: إنها إما لام الإبتداء ... وإما لام جواب قسم مقدر (٤) .

على الرغم من أن عنوان الكتاب يشي بأنه ممحض للإعراب حسب، إلا أن ابن خالويه استرفذ جملة من الطرائف والدراسات، وظفها لإقامة الدرس إقامة شاملة، فلا مشاحة أنه عالج النص معالجة مستفيضة شملت الإعراب في المبتدأ، ثم المسائل الصوتية والصرفية، ثم التفت إلى المسائل اللغوية المستفيضة من دلالة واشتقاق وترادف ومشترك وأضداد، وتصريف، ثم توفر على جملة من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية، والشواهد الشعرية، فجاءت الدراسة متكاملة واعبة جل مسائل العربية، فجاءت آنق وأمثل، وأظهر تمثلاً لكل مستويات الدرس اللغوي، فجاءت منسجمة مع الأنظار اللغوية المعاصرة وسيعمد البحث إلى مفصلة هذه المسائل، والتلبث لديها، بما يفسح الوقت، وطبيعة المنهج.

وسيستهل البحث بالوقوف لدى المسائل الصوتية والصرفية لأسبقيتها في الدرس اللغوي، على نحو ما هو ملموح في الأنظار المعاصرة، وعلى نحو ما ألمحنا إليه في الفواتح من أول.

المسائل الصوتية والصرفية

عالج ابن خالويه جملة من هذه المسائل، بنظرة مدققة مصيبة، تحت عنوانات أظهرها: المماثلة وقد عالجها تحت عنوانات: الإتباع، والإدغام والإبدال والمخالفة وتوقف لدى الإعلال والتصغير، والوقف، والإمالة. يشير المحدثون إلى أن التحويلات الصوتية في مسائل الصرف تكاد تنحصر في قضيتين كبيرتين هما : المماثلة والمخالفة ومع أن المماثلة مصطلح صرفي حديث، إلا أن ابن خالويه شأنه شأن عدد جم من الصرفيين المتقادمين، تنبه لهذا المصطلح، ووضح عدداً من المسائل الصرفية التي ترتد لها مسائل فرعية نصوا عليهامنها: الإتباع والإدغام، والإبدال. والمماثلة الصوتية تعني تأثر الصوت بالصوت الذي يسبقه أو يعقبه فيفضي إلى مماثلة أو مقاربة في الصفة أو المخرج أو فيهما معاً للانسجام الصوتي في الألفاظ والكلام، توفيراً للجهد العضلي المبذول، وهي التعديلات الكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى، أوتحول الغوينمات المختلفة إلى مماثلة إما تماثلاً جزئياً أو كلياً(٥) .

وتكاد تكون هذه الظاهرة شائعة بصفة عامة في كل اللغات.(٦)

والغاية من ذلك هو الائتلاف الصوتي الذي يفضي إلى جمالية الكلام، ويضفي رونقاً وصفاء عليه، ويتوخى المتكلم الاقتصاد في بذل الجهد عند التكلم.(٧)

وقد أدرك هذا المفهوم جلة من علماء اللغة القدامى من أمثال الفراء.(٨)

ولكنهم أطلقوا عليها أحياناً الإتباع. (٩)وبهذا جمجم ابن خالويه، على خلاف في المصطلح حسب .(١٠)وتتمظهر مسألة المماثلة لدى ابن خالويه في ثلاث مسائل صرفية مشتهرة هي الإتباع، والإدغام، والإبدال.

١. الإتباع

١. **إتباع الكسر:** واستشهد لها ابن خالويه بقراءة الحسن ورؤبة: الحمد لِله بكسر الدال، اتبع الكسر الكسر، وذلك أن الدال مضمومة وبعدها لام الإضافة مكسورة فكرهوا أن يخرجوا من ضم إلى كسر فأتبعوا الكسر الكسر .(١١)

وهي مسألة ملموحة لدى الفراء . (١٢)وذكرها من بعد السيوطي.(١٣)

٢. إتباع الضمة الضمة، قراءة إبراهيم بن أبي عبلة « الحمدُ لُله » بضم اللام، وأتبع الضم الضم، كما أتبع أولئك الكسر الكسر . (١٤)وهو إتباع بعدي، على نحو ما وضحه ابن خالويه في غير هذا الموضع .(١٥)

٣. إتباع السكون الضمة في قراءة « يريد الله بكم اليُسُر »(١٦) بضم السين مثل: الرُّعُب، وقراءة : " ويأمرون الناس بالبُخُل " (١٧) و " أليس الصُبُحُ بقريب" (١٨) بضم الباء.(١٩)

٤. مماثلة عين الفعل المضارع لعين ماضيه، وذلك ظاهر فيما أشار إليه ابن خالويه في أربعة أحرف جاءت عنهم وهي : حسِب يحسِب، ونعِم ينعِم ويئِس ييئِس ويبِس ييبِس.(٢٠)

٥. تليين إحدى الهمزتين، لاجتماع المثلين في قوله: أمنوا، من قوله تعالى (إلا الذين آمنوا) (٢١) وآمنوا صلة الذين، والأصل أأمنوا . الهمزة الأولى تسمى ألف القطع، والثانية سنخية فاء الفعل، فلينوها كراهية الجمع بينهما . (٢٢)

٦. وألف الوصل في الفعل الثلاثي تكون مكسورة في الأمر نحو : اِذهب اِضرب اِقضِ إلا أن يكون ثالث المتصل مضموماً، فتضم الألف كراهية أن تخرج من كسر إلى ضم ونحو : اُدخل وأخرج ، واُعبُد . (٢٣)

٢. الإبدال

وهي مسألة مشتهرة في أصولهم الصرفية وتقعيداتهم الصوتية أشار إليها ابن خالويه إشارات سياقية، من غير استيعاب حاصل إذ إن طبيعة الدرس تقاضته أن يدرس النصوص دراسة سياقية، وليست تنظيرية، فهو يتشاغل بالمسألة بمقدار تواردها في النصوص، فلا جرم أنه ما كان يتعقب الظاهرة كلها، وهذا لون من الدراسة الوصفية جاد، وجدير بالاقتفاء، فما لا وظيفة له في النص قلما يصيبه النظر.

ومن المسائل الإبدالية الموقفية:

١. إبدال الواو والياء تاء في مثل قوله تعالى :(وتأكلون التراث أكلاً لما) . (٢٤)

وهذه التاء في (التراث) مبدلة من الواو والأصل وُراث لأنه من ورث، فأبدل الواو تاء،

كما يقال: التخمة ، والأصل : الوخمة، وجلست تُجاه فلان، والأصل وُجاهه . (٢٥)

٢. إبدال تاء الافتعال طاء إذا أتت بعدها صاد أو ضاد أو طاء أو ظاء وذلك في مثل: تطّلع، والأصل: تطتلع، ثم أدغمت الطاء في الطاء، فالتشديد من أجل ذلك . (٢٦)

ولعل شيوع هذه التقريرات مستفيضة في عصره، أغناه عن ذكر تفاصيلها، ثم مما يحمد له التزامه بالقضايا الصرفية التي ترد في صلب إعراب الآيات التي هو بصددها، خلافاً لما جرى عليه الإسفراييني في إعراب الفاتحة من استطراد مستوعب، وحشد مُملّ لكبريات المسائل النحوية.

٣. إبدال الواو ألفاً في مثل أحد من قوله تعالى (قل هو الله أحد). (٢٧)وقولهم : امرأة أناة، أي رزان، لأن الواو إنما تستثقل عليها الكسرة والضمة، فأما الضمة فلا تستثقل، وهذان الحرفان شاذان، وزاد ابن دريد حرفاً ثالثاً: إن المال إذا زكي ذهبت أبلته، أي وبلته، وزاد محمد بن القاسم رابعاً: واحد آلاء الله ألى والأصل ولى من أولاه الله معروفاً .(٢٨)

٤. إبدال القاف كافاً لقرب مخرجيهما قال أعرابي: ما كهرني ولا شتمني " أي ما قهرني.(٢٩)

٥. إبدال الهاء همزة في مثل قوله تعالى : (خلق من ماء دافق) (٣٠) قال ابن خالويه: وهذه الهمزة مبدلة من هاء، وذلك أن الأصل في ماء، مَوَهٌ فقلبوا من الواو ألفاً فصار ماه، ثم أبدلوا من الهاء همزة فصارت ماء .(٣١)

والأنواع الثلاثة الأخيرة في هذا الإبدال هو الإبدال السماعي.(٣٢)

٣. الإدغام

وهي وفيرة في مصنفه، وهي إما لقرب المخرجين، أو لتجانس الحرفين، فإن قيل لك: لم شددت الشين، في الشيطان فقل أدغمت فيها اللام، ثم يذكر الحروف التي تدغم فيها اللام، وهي أربعة عشر حرفاً، ثم يذكر مخارجها بدقة .(٣٣)

ثم يقف لدى مسألة إدغام الراء في اللام في نحو : استغفرْ لّهم فيتابع سيبويه والبصريين في منع ذلك، لأن الراء حرف فيه تكرير فكأنه إذا أدغمه فقد أدغم حرفاً مشدداً نحو : مسّ سقر، والإدغام المشدد فيما بعده خطأ بإجماع .(٣٤)

ويأتي على كثير من مسائل الإدغام التي هي مماثلة صوت بصوت أو مقاربته في الصفة والمخرج، ويعلل لها تعليلات مستطابة تنسجم ومعطيات علم الصوتيات المحدث، ففي قوله تعالى: ولاأنا عابد ما عبدتم . (٣٥) وشددت التاء لأن الأصل عبدتم ظاهرة الدال، والدال أخت التاء قريبة منها فقلبوا من الدال تاء وأدغموا التاء في التاء، ولو كان في غير القرآن لجاز أن تقول: عبدْ دُم، تقلب من التاء دالاً، لأن الدال أجهر وأقوى فيغلب القوي على الضعيف والمجهور على المهموس .(٣٦)

المخالفة الصوتية

والمخالفة نظير المماثلة، ويقصد بها نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف، مثل : قرّاط التي تحولت إلى قيراط، ودنّار إلى دينار أو أن يعمد إلى صوتين متماثلين تماماً، في كلمة واحدة، فيغير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة، وهي اللام والميم والنون والراء (٣٧).

وتتجلى المخالفة الصوتية لدى ابن خالوية في المصطلحات التالية:

- القلب - الحذف - الفصل

وهي أيضاً مستطرة في أبجديات علم الصوت لدى المحدثين. ومن أمثلة المخالفة بين الحركات في الكلمة الواحدة. قال: فإن قيل : لم فتحت النون في قولك : ومنَ الشيطان،وكسرت في قولك : مَنِ الشيطان ؟ فالجواب في ذلك أن النون حركت فيهما لالتقاء الساكنين، غير أنهم اختاروا الفتح في (مِنْ) لانكسار الميم، واختاروا الكسر في (مِنْ) لانفتاح النون. فأما قولهم : إنِ اللهُ أمكنني من فلان، فإنهم كسروا النون مع الهمزة لعلة استعمالهم إياه(٣٨) .

وقد يعمد المتكلم إلى حذف أحد المقاطع المتماثلة تخففاً، لئلا تتابع مقاطع مستقلة لا يسيغها المتكلم. وقد أشار ابن خالويه إلى ذلك، في قوله تعالى : " وقد خاب من دسّاها "(٣٩) فقال : والألف في دسّ مبدلة من سين كراهية اجتماع ثلاث سينات، والأصل من دسّسها أي أخفاها . ومثله (يتمطّى) فأصلها : يتمطط ومثله (تقضّي) قال الشاعر : تقضّي البازي إذا البازي كَسَرْ. يريد : تقضضُ (٤٠) وهذه التعليلات أذن بها المحدثون كثيراً في أدبيات علم الأصوات، وكان القدماء فيها على طريق لا حب.

ويكثر ابن خالويه من شواهد الحذف، في اجتماع الأمثال في المعطى اللغوي مثل تلظى فأصلها: تتلظى، ومثل حذف نون الإعراب من أواخر الأفعال المضارعة المسندة إلى واو الجماعة، والمؤكدة بالنون الثقيلة وضرب لها مثلاً في قوله تعالى: (لترونّ الجحيم ثم لترونّها عين اليقين، ثم لتسألنّ يومئذ عن النعيم).(٤١)

وقد اجتمعت ثلاث نونات، نون الإعراب، التي حذفت لتوالي الأمثال ونون التوكيد الثقيلة .(٤٢)

وكان ابن خالويه ذا حس لغوي وصوتي مرهف، ينم على نظره الثاقب ورأيه الصائب، وكان في تحليلاته اللغوية مجلياً، ورائداً واعداً، ولكنه قد يكون في كثير من الأحيان مسبوقاً في اجتراح هذه الرؤى، ولكن مما يحمد له أنه يعززها ويعمقها بالشواهد القرآنية والشعرية، تترى في مصنفه، ليحسن من سوية الشداة بله المتعلمين، وأياديه برة لا تجحد في هذا الصدد.

وثمة مسائل صرفية جليلة توفر عليها ابن خالويه، منها : التصغير والإعلال والوقف، والإمالة .

التصغير

والتصغير لدى ابن خالويه موضوع وليد السياق فيذكر من موضوعاته ومسائله ما يشاكل الموقف . فيمسه مساً خفيفاً دون تبسط فمصغر اسم هو سميٌّ والألف نقص في التصغير ويذكر بعض الأسماء عرضاً وردت مصغرة ولا مكبر لها مثل: رويداً والثريا وكميت ومبيطر ومهيمن ، ويذكر بعض أغراض التصغير، والعرب تصغر الاسم على المدح لا تريد به التحقير كقولهم : فلان صديّقي، ومن ذلك قول عمر في ابن مسعود : كُنيّفٌ ملىء علماً مدحه بذلك. ويوجه بيت عمر بن أبي ربيعة في القمر على التمدح لا على الذم .(٤٣)

الإعلال

وهو من المسائل الشائعة في إعرابه استهتر كثيراً بمسائله، وألظّ بلطائفه، لاينفك عنها بما يجسد مبلغ بصره بلطائف العربية ونواميسها. وذكر منه الإعلال بالنقل، والحذف

والقلب والتسكين. يقفنا على الظاهرة الصرفية ثم يعلل لها " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " والأصل: أعْوُذ، على مثال أفعل فاستثقلوا الضمة على الواو فنقلت إلى العين فصارت أعُوْذ، وكذلك أقول وأزول، وما كان مثله، فهذه علته .(٤٤)

وهذا هجيراه في جل معالجاته الصرفية والنحوية واللغوية، يعرض الظاهرة ثم يوضح موقعها، ثم يعلل لها، ثم يسترفد لها الشواهد، أو يستنبط لها المثل من لدنه، وهذه شنشنة مرد عليها جل النحاة المتقادمين، وهي أشبه بالوصفية وأدنى إلى التعليمية الواقعية، التي تعالج نماذج لغوية موظفة في سياقات معيشة، حيث راجت بالاستعمال.

ويعرض لنا نماذج من الإعلال بالقلب في قوله تعالى : " وجعلنا لكم فيها معايش " (٤٥) قلب الياء همزة ما لم تكن أصلية نحو معيشة، لم تهمز في الجمع، ومن همز هذه الياء فقد لحن، وقد روى خارجة عن نافع همزة، وهو غلط .(٤٦) ومن الإعلال بالحذف قوله تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بعاد).(٤٧)
والأصل ترى فحذف حرف العلة .(٤٨)

ومن الإعلال بالتسكين قوله تعالى : " وما يغني عنه ماله إذا تردّى " (٤٩) فالإعلال بالتسكين في قوله (يغني) .(٥٠)

وجل هذه المسائل الصرفية مستظهرة لدى قدماء النحاة، ومعروفة لدى نظرائه، ويحمد له الدقة في تعليلها وتوضيحها ورفدها بالشواهد القرآنية .

الوقف

ومن المسائل التي التفت إليها ابن خالويه الوقف، ولكن من غير حصر أو وعب مسائله، وتوقف لدى قوله تعالى : " وما أدراك ماهيه "(٥١) قال: ودخلت الهاء للسكت لتتبين بها حركة ما قبلها، وهي في القرآن في سبعة مواضع : لم يتسنه وسلطانيه، وماليه، وحسابيه، وما أدراك ماهيه، وكتابيه، واقتده .(٥٢) فالهاء في هذه الكلمات مجتلبه للوقف.

وتكلم على نمط من الوقف وهو الوقف بالنقل، وذلك في قراءة سلاّم أبي المنذر (والعصرِ) بكسر الصاد والراء، وهذا إنما يكون في نقل الحركة عند الوقف كقولك : مررتُ ببكرْ، نقلوا كسرة الراء إلى الكاف عند الوقف، وكذلك يفعلون في المرفوع، ولا ينقلون في

المنصوب إلا في ضرورة شاعر .(٥٣)

واستذكر طرائق الوقف لدى سيبويه، قال سيبويه: الوقف على الاسم بستة أشياء : الإشمام والإشباع، وروم الحركة، ونقل الحركة، والتشديد، والإسكان .(٥٤)

الإمالة

لا جرم ألم بها ابن خالويه إلماماً، ألح إليها في قوله تعالى : (فمهل الكافرين) .(٥٥) فذكر أن أبا عمرو والكسائي في رواية أبي عمرو يميلان (الكافرين) من أجل الراء والياء والباقون يفخمون، إلا ورشاً، وهما لغتان فصيحتان .(٥٦)

والاختيار في فاعل وفاعلة، نحو القارع والقارعة، التفخيم وترك الإمالة لأن القاف من حروف الاستعلاء، والصاد، نحو صادق، والضاد نحو ضارب، والطاء نحو طارق، والظاء نحو ظالم، والخاء نحو خاتم، على أن أبا عمرو قد روي عنه (القارعة ما القارعة) بالإمالة، وإنما جاز ذلك أن أجل الراء .(٥٧)

وحضوره في هذه المسألة واضح، يعرض المسألة، ويفعلها ثم يعرض رأيه الشخصي، مع أن كثيراً من المسائل ملموح، وظاهر لدى كثير من متقدميه. ولكن لكي تكون المسألة حاضرة الأطراف، يستذكر جل الأمور المنوطة بها من صوتيات أو صرفيات أو نحو أو دلالة أو اشتقاق، أو رواية، أو قراءة أو لهجة، حشدها لتكون رداً له في تجلية الأنماط الأسلوبية المتموضعة في الآية الكريمة.

المسائل النحوية

كان المقصد الرئيس الذي ترماه ابن خالويه، هو إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ومسألة الإعراب لديه كانت واسعة المفهوم، بل كانت تعني تحليل النصوص اللغوية، إلى مكوناتها اللغوية الرئيسة، من أصوات وصرف ونحو واشتقاق ودلالة لكي تبدو الصورة اللغوية للنصوص واضحة متكاملة فكان ابن خالويه يمفصل الآيات إلى كلمات يتعقبها بالإعراب التفصيلي، وعقب ذلك يتوفر على التحاليل الأخرى.

وفي هذا المستوى من الدرس سنرصد في البداءة العناصر التي تتقوم منها القاعدة النحوية، إبان زمن التعقيد، فسنرصد الشواهد النحوية، والمصطلحات النحوية التي امتاز بها ابن خالويه، وسنشخص بعض المسائل التي تفرد بها، ونختم هذا المطلب بتقويم عام لمنهجه النحوي.

شواهد ابن خالويه

معلوم أن إقامة القاعدة النحوية كان يتمحور حول أسس متعددة منها : الشواهد وتبيان العامل، والعلل النحوية، وهذه شنشنة مرد عليها النحاة، وأوطئوا في أعقاب بعضهم أما أكثر الشواهد استفاضة في مصنفه المذكور، فهي الشواهد الشعرية، وقد بلغت عدتها (٢٣٨)شاهداً شعرياً، وجلها من عصر الاحتجاج، وقد استرفدها شواهد على القضايا الصرفية والدلالية والاشتقاقية والنحوية، وكان يوردها غفلاً من غير عزو، وفي أحايين أكثر يذكر القائل استبراء للذمة، إمعاناً في الثقة، وقد يأخذ من فهم القارىء تكأة لإغفال العزو.

وأكثر ابن خالويه من الاحتجاج بكلام العرب المنثور، وهو إما قول مأثور، كقول العرب : " إذا بلغ الفتى ستين سنة فإياه وإيا الشوابِّ " استشهد به على أن الكاف من إياك في موضع خفض .(٥٨)

وقد يستشهد بأقوال أعيان العرب كقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رأى رجلاً يلبي، وقد أخفى صوته فقال: أضحِ لمن لبيت له، أي أظهر .(٥٩)

أو بقول الحجاج، استشهاداً على سنن العربية في مخاطبة المفرد بالمثنى، قال الحجاج: يا حرسي اضربا عنقه. للتعظيم . (٦٠) أو ينتخب أمثالاً عربية يوظفها لتفسير معطى لغوي. تقول العرب في المتكبر: هو أزهى من غراب .(٦١)

وقد وقع لي منها، في الكتاب، ما عدته خمسة عشر قولاً مأثوراً أو مثلاً وكان يتقصد أحياناً عزوها جلية إلى قائليها.

أما الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف في إقامة القواعد النحوية، فقد كان يشكل

مسألة جدلية، في الجواز والمعنى يتراءى لنا أن ابن خالويه كان ممن لا يرى ضيراً بالاحتجاج بالحديث النبوي الشريف في إقامة العربية بمستوياتها.

وقد بلغت عدة الأحاديث النبوية الشريفة المستشهد بها واحداً وعشرين حديثاً نبوياً، وكان منهجه في الاستشهاد بالأحاديث أنه يورد سلسلة سند الرواة، وإن طالت، وكثيراً ما كان يتوفر على هذه الأحاديث لتفسير المعاني الدلالية حين يعمد إلى توضيح معنى قرآني مشكل. بيد أنه ما كان يتقوى بهذه الأحاديث أو يتهدى بها في مجال الأعاريب القرآنية. وهذا موقف يحمد لابن خالويه.

أما الاحتجاج بالقراءات القرآنية، فهو واسع،وكتابه ينضح بالآيات القرآنية التي يستظهر بقراءاتها في المستويات الصرفية، أو الأعاريب أو الدلالة ، أو الاشتقاق أو التصاريف.

المصطلحات النحوية

مع أن المصطلح النحوي في القرن الرابع، الذي عاش فيه ابن خالويه، قد استقر واضحاً، على خلافات مشهودة بين البصريين والكوفيين، إلا أن هذا لا يمنع أن نورد بعض المصطلحات النحوية التي سجلها ابن خالويه في كتابه، على أنه كان في أعاريبه ومعالجاته اللغوية، يميل إلى المنهج الائتلافي القائم على الأخذ من المنهجين البصري والكوفي، فكان متوازناً في أخذه من المدرستين. ومن المصطلحات الظاهرة في كتابه.

- **باء الصفة** : وقصد بها الباء الزائدة في مثل: أعوذ بالله، وبسم الله أما اللام في مثل قوله تعالى : الحمد لله، فجعلها زائدة، وفي قوله تعالى : اقرأ باسم ربك الذي خلق .(٦٢) فهي باء الصفة ولم يذكرها ابن جني ولا ابن هشام ولا المرادي .(٦٣)
ولكن يسمون حروف الجر، حروف الصفة أو حروف الإضافة .(٦٤) فهو مصطلح الكوفيين تخيره ابن خالويه. بيد أن ابن خالويه جعلها في الحرف الزائد، مما يشي بأن المصطلح لديه كان عائماً غير محدد.
- **الموقوف:** وقد كرره ابن خالويه في كل فعل أمر. ففي إعرابه : سبح اسم ربك الأعلى، قال: سبح موقوف لأنه أمر عند البصريين، وعند الكوفيين جزم بلام مضمرة .(٦٥)

- **الاسم الناقص:** وهو الاسم الموصول، لأنه يقتضي صلة وعائداً .(٦٦)
- **قد :** حرف توقع، " قد أفلح من زكاها " (٦٧) و " لقد خلقنا الإنسان في كبد " .(٦٨)
- **ليس :** فعل ماض – يوافق الجمهور خلافاً للزجاجي الذي عد كان وأخواتها حروفاً.(٦٩)
- **بل:** حرف تحقيق .(٧٠)
- **إلا :** التي تفيد الحصر يسميها أداة تحقيق، في قوله تعالى : ليس لهم طعام إلا من ضريع .(٧١)
- **نون الوقاية والياء :** ضميران .(٧٢)

الهمزة : ألف يقول : الألف ألف توبيخ في لفظ الاستفهام .(٧٣)

- **التاء المربوطة :** في مثل همزة ولمزة، هي هاء، وقال: والهاء في همزة دخلت للمبالغة في الذم وسيبويه يسمى تاء التأنيث هاء التأنيث .(٧٤)
- **نون النسوة** – علامة التأنيث .(٧٥)
- **إذا:** حرف وقت غير واجب .(٧٦)
- **القطع :** ظرف الزمان .(٧٧)

وله لفتات موقعية مشتهرة نعرج على بعضها بما يسعف به البحث.

- **رافع الفعل المضارع** لوقوعه موقع الاسم .(٧٨) وهي مسألة خلافية .(٧٩)
- **المنادى المعرف بأل :** قل يأيها الكافرون. يقول : أي : رفع بالنداء وها تنبيه، والكافرون: نعت لأي، وصلة له.(٨٠)

وفي أصولهم أن النعت والمنعوت متطابقان في التعريف والتنكير، وإعراب (الكافرون) نعتاً لـ (أي) مناكرة لتلك الأصول، من قبل أن (أي) نكرة ، و (الكافرون) معرفة وفي ذلكم منافاة جلية . والأحسن أن يقال : أي : وصلة لنداء المعرف بأل والكافرون: هو المنادى . أو هو بدل .

- **السكون علم الرفع** : والليل إذا يغشى. ويغشى فعل مضارع وعلامة رفعه سكون الألف.(٨١)
- **في إعراب:** يومئذ قال: نصب على الظرف، وأضفته إلى (إذْ) ولما كانت الحروف لايضاف إليها، جعلوا ل(إذ) مزية على غيرها فنونوها . (٨٢) مع أن التنوين في (إذ) هو تنوين

العوض عن الجملة المحذوفة.

- يسمي نون النسوة علم التأنيث ولم يعدها فاعلاً، في مثل: فأثرْن .(٨٣)

وابن خالويه لا يأبه بتعقيد الأصول والكليات، من قبل أن هذه المسائل قد استقرت آنذاك وطريقها لاحبة.

ولكنه قد يتلبث أحياناً لدى مسألة يجلي أصولها النظرية وذلك في مثل حديثه عن تبعية النعت للمنعوت، وفي حديثه عن البدل أيضاً، وأشراطه وأقسامه .(٨٤) وقد يشير إلى أثر الحركة الإعرابية وتوظيفها للإبانة عن المقاصد حين تكون مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة. في مثل : قمتَ وقمتِ و قمتُ ولكن في موضع رفع . ويتكلم في موضع على عناصر أسلوب القسم وهي حرف القسم، والمقسم، والمقسم به، والمقسم عليه، والمقسم عنده، والزمان والمكان، وتكلم على أحرف القسم وهي : الواو والباء والتاء والهمزة، وتكلم على النعت المقطوع باقتضاب غير مخل، وذلك في إعراب (حمالة) من قوله تعالى " وامرأته حمالة الحطب " .(٨٥) على أنها نعت مقطوع من وجه .(٨٦)

تقويم الجهود النحوية لدى ابن خالويه

لم يكن ابن خالويه نحوياً مشتهراً ذا مدرسة مستقلة، وليس لديه آراء متفردة خالف فيها جمهرة النحاة، ولهذا السبب، كما يبدو لي، وسمه ابن هشام بأنه أحد النحاة الضعاف. بيد أن له منهجاً واضحاً وشخصية بارزة في معالجاته اللغوية في الدرس القرآني تسامت جهود الفراء، والأخفش، وابن النحاس، والزجاج، وخلافهم فهو قد فعّل قضايا لغوية جمة من خلال إعرابه ثلاثين سورة من القرآن الكريم، وهي من السور القصار ابتداء من أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، والبسملة، والحمد لله، فالطارق حتى يصير إلى سورة الناس.

وهو في منهجه الإعرابي، على نحو ما يشي العنوان، ليس إعراباً حسب بل هو معالجة وصفية شاملة، وفي البداءة يعرب الكلمة ثم يلتفت إلى قضايا صرفية ودلالية وأسلوبية واشتقاقية شاملة. على نحو ما عليه الفراء في معانيه أو الأخفش أو الزجاج في إعرابه، أو ابن النحاس. فكلهم ينتخب المسائل المشكلة أو القضايا الفاقعة التي يدير عليها حواراً ساخناً ومعالجة جدلية ممتدة شاملة نحوية وصرفية ولغوية وأسلوبية واشتقاقية وما إلى ذلك بما يجعل النص واضحاً جلياً.

بيد أن ابن خالوية يخالف عن المتقدمين والمتأخرين في أن إعرابه ومعالجاته اللغوية معالجة تتبعية، يتناول الكلمة في كل آية على نحو ورودها في المصحف الشريف ثم يبدأ بإعرابها على نحو تفصيلي ويعالجها من كل الجوانب خلافاً لما عليه الفراء أو الأخفش أو مكي بن أبي طالب القيسي، الذي يقوم على منهج انتخابي انتقائي،يعنى بالآية المشكلة يتوقفون لديها لمعالجتها.

ويلحظ على منهج ابن خالويه أنه مرد على إعراب القراءة المتواترة الشهيرة مع الإلماع إلى بعض القراءات دون أن يعربها. إلا أن في سورة البلد خالف عن هذه الطريقة فأعرب القراءة: فَكٌّ رقبةً أو أطعم في يوم ذي مسغبة يتيماً " وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، ووسمها الفراء قائلاً: وهو أشبه الوجهين بصحيح العربية .(٨٧) وقال الأخفش: وقال بعضهم : (فكٌّ رقبةٌ) وليس هذا بذاك، (وفكُّ رقبة) هو الجيد .(٨٨).

ويعمد ابن خالويه في إقامة أعاريبه، وفي مصطلحه النحوي، أو في علله، أو شواهده، على الانتقاء من المذهبين الفاشيين آنئذ، البصري والكوفي، ثم يتخول النص من وجوه شتى، فإذا امتلأت نفوسنا بالأعاريب التفت إلى القضايا الأخرى، فالعربية ليست أعاريب حسب بل تحليل شامل واسع ليملأ النص إشعاعاً وألقاً. وهو يتحاشى التعريقات والتشعيبات والأوجه الإعرابية التي تمض القارىء وتنفره أحياناً.

ويعمد إلى أن يلزم المسألة وشاهدها في قرن واحد، وشواهده ثرة مغنية تتنوع بين الآية القرآنية الرديفة، أو الشاهد الشعري الرافد، أو النص النثري، أو الحديث النبوي الشريف الذي يتخذ منه رداءً يضيء جوانب النص القرآني، ويعزز المسألة ويقويها.

ومما يضفي على منهجه نداوة ملذة هو هذا الدرس المتكامل للأنماط اللغوية وهذه التنقلات الملونة للمعالجة من نحو وصرف وأسلوب واشتقاق ودلالة، تفارق الظواهر الأسلوبية التي نلحظها عند سواه في الاستطراد من موضوع إلى موضوع، بيد أن نقلات ابن خالويه يحكمها منهج واحد يؤطرها في مستوى لغوي متوحد متعدد، لذا تظل الآصرة وشيجة بين مسألة وأخرى من قبل أنها تتمحور حول اللغة ونسأل : كيف عالج ابن خالويه المسائل اللغوية، في مصنفه، وما هي مستويات المعالجة ؟

المسائل اللغوية

يعرض ابن خالويه في سياق إعرابه للسور الثلاثين التي توفر عليها جمهرة من القضايا اللغوية ترد بالتصادف في سياق الدرس اللغوي التطبيقي الشامل وهي مسائل كبرى جمهورية تعد من أمات مسائل اللغة، وتشبه أن تكون معالجاتها ابتدائية وصفية إشارية تفعيلية لمن يرغب في الاستزادة. ومن موضوعات اللغة التي توفر عليها: اللهجات واللغات، والترادف، والمشترك اللغوي، والأضداد والأعجمي والمعرب، والاشتقاق، والفروق اللغوية، والدلالة، والتصحيح اللغوي، والنحت اللغوي، والتنمية اللغوية.

والحقيقة أن هذا المصنف وعاء حشي علماً، وظرف أو عب أفانين أدبية ولغوية شاملة، فهو يشبه أن يكون دراسة (فيلولوجية) معاصرة ممتعة.

الرواية اللغوية

في فواتح بحث هذه الأمور نشير إلى مسألة التفت إليها ابن خالويه وهي الرواية اللغوية، والعناية بسند الرواة، إمعاناً في التوثيق والأمانة. مع أن الرواية عن الأعراب، أو علماء اللغة قد خفت في هذا القرن، من قبل أن الموروث قد بات مجموعاً موثقاً، وقلما نظفر بتوفر على الرواة سوى ما نلحظه من لمامات لدى خصائص ابن جني أو في مطاوي مصنفات ابن الشجري. إلا أن ابن خالويه حرص على ذكر المسانيد اللغوية عن عدد من العلماء وأحياناً تلفيه يذكر سلسلة من الرواة عن أنباه العلماء المتقدمين قال: حدثنا محمد عن ثعلب عن سلمة عن الفراء قال : العرب تقول : نعوذ بالله من طئة الذليل، أي : أعوذ بالله من أن يطأني ذليل.(٨٩)

ويروي عن أبي علي، وأبي عمرو وأبي عبيدة، عن ابن دريد عن أبي حاتم، ويروي عن محمد ابن أبي هاشم عن ثعلب عن ابن الأعرابي عن الحسن البصري، وعن أبي العالية وعن أبي زيد، وعن ابن السكيت، وينقل عن المبرد، وعن الكسائي : حدثنا أبو عمرو عن ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائي، ويروي عن الأخفش وعن الأصمعي ، وعن أبي جعفر الرؤاسي .(٩٠)

أما القراءات القرآنية فكان يرويها عن مشاهير القراء . وأما الأشعار فقد كان يعزوها لدى إنشادها، وتارة يرسلها دون عزو، لعله يركن على ذهنية السامعين ومعرفتهم.

ومن أظهر المسائل اللغوية التي حفل بها مصنفه المسائل التالية:

١. اللهجات واللغات

وهي مبثوثة في مطاوي مصنفه، ولا يكاد يخلو منها مصنف متقادم، تقابل : شكرت لك وشكرتك وشكرت بك، كما يقال كفرت بك، وهذا الأخير نادر والأولى هي اللغة الفصحى(٩١) .

ويذكر اللغات في (مالك) من قوله تعالى : ما لك يوم الدين، وفي لغات الصراط الأربع، وعن سننهم في إعراب الاسم الموصول .(٩٢)

ومن العرب من يقول : جلست إلآك، يعني إليك، وعلاك درهم، يريدون عليك حكى ذلك أبو زيد، قال الشاعر :

طاروا عـــــلاهن فطر عـــــلاها واشـــدد بمثنى حَـقَب حِـقْـواها(٩٣)

وتحدث عن لهجتي الحجازيين والتميميين في إعمال (ما) النافية عمل ليس، أو إهمالها لدى التميميين (٩٤) يقول : وقد سمعت محمد بن القاسم يقول : يقال أممتك وتأممتك، ويممتك وتيممتك، أربع لغات .(٩٥) ولعل ابن جني كان أبرع في ذكر أفانين متنوعة من اللهجات، من قبل أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم .(٩٦)

٢- الترادف

لا مشاحة في أن ابن خالويه كان ممن يأخذون بالترادف في العربية، كان قد أذن بها في بلاط سيف الدولة الحمداني .(٩٧) وقد توفر عليه كثيراً السيوطي في المزهر .(٩٨)

وقد التفت إليه ابن خالويه في مواقع متعددة. يقال : اجعل ذلك في سويداء قلبك وفي حماطة قلبك، وفي حبة قلبك، وفي جلجلان قلبك، وفي تامور قلبك، وفي أسود قلبك، وفي شغاف قلبك، كل ذلك في وسط القلب .(٩٩)

٣- المشترك اللغوي

وقد توفر عليه ابن خالويه كثيراً في مطاري مصنفه، يغني به ثقافة القارىء والرب

اسم مشترك يقال : رب الضيعة، ورب الدار، والرب مصدر من قولك ربيت الشيء فأنا أربه رباً. والدين في اللغة أشياء : فالدين الجزاء، والدين الطاعة والدين الملة والدين العادة.(١٠٠) ويقول : والعين ثلاثون شيئاً، وقد أفرد لها كتاباً، أورد فيه المعاني التي ترد لها .(١٠١) ولسنا بصدد مناقشة أحقية هذه المسألة، وآراء العلماء فيها .(١٠١)

٤- الأضداد

قال ابن خالويه : والبسْل الحلال، والبسْل الحرام، وهو من الأضداد والبين في اللغة الوصل، والبين الفراق .(١٠٣)

٥- الأعجمي والمعرب

وتكلم على الكلم الأعجمي والمعرب، بما ينم على بصر ثاقب بمجاري اللغة، ومنابعها، أشار إلى ما أخذ من العبرانية مثل : آبارهم، ومشيماً، والسريانية والنبطية والفارسية مثل دمدم، وسجيل، وخلافها .(١٠٤)

٦- الاشتقاق والتصريف

وهو باب واسع يلح عليه ابن خالويه كثيراً، ليدلل على ثراء هذه اللغة وقدرتها على مواكبة المستجدات، والتعبير عنها بأريحية، ثم لكي يغني معجم القارىء ويوسع أفقه اللغوي . وابن خالويه مرد على تشقيق الكلم بعضه من بعض، يلظ بذلك كثيراً، إلى حد الاستهتار به، لايني يزاوله في جل المعطيات اللغوية فهو يشقق من الكلمة الفعل واسم الفاعل أو المفعول، أو الصفة المشبهة أو المصدر، أو المضارع، أو الأمر، مما يجعل الدرس اللغوي شائقاً ممتعاً، ويجعل القراء حراصاً على التتبع والتعمق. وإن كان هذا اللون من المعالجة أدخل في باب التصريف، إلا أنّا آثرنا استبقاءه في باب الاشتقاق اللغوي. قال : نعبد فعل مضارع فإذا صرفته قلت: يعبد عبادة فهو عابد والله معبود . وإذا صرفت الفعل أنعم، قلت: أنعم ينعم إنعاماً فهو منعم والأمر أنعم، بقطع الألف وفتحها، ومثله قوله :وكيداً نصب على المصدر، فإذا صرفت قلت : كاد يكيد كيداً فهو كائد، والمفعول به مكيد، مثل كلت الطعام أكيل كيلاً فأنا كائل والطعام مكيل .(١٠٥)

وأحياناً يذكر المذكر والمؤنث، أو يقرن المفرد إلى المثنى والجمع، وأحياناً يتوفر على حركة عين المضارع والماضي، في تقاليب ممتعة مستطابة، ولعله أراد أن يسيغ هذه المعطيات اللغوية إلى القارىء بلذة وإسلاس.

٧- الفروق اللغوية

ومع أن ابن خالويه يؤمن بالترادف، إلا أنه لا يمانع من وجود فروق لغوية بين معطى لغوي وآخر، من قبل أن منهجه ائتلافي وصفي تعليمي.

يقول: ومعنى الحمد لله، الشكر لله، وبينهما فصل، وذلك أن الشكر لا يكون إلا مكافأة كأن رجلاً أحسن إليك فتقول : شكرت له فعله، ولا تقول : حمدت له، والحمد والثناء على الرجل بشجاعة أو سخاء، فالشكر يوضع موضع الحمد ولا يوضع الحمد موضع الشكر.(١٠٦)

٨- النحت اللغوي

وهو باب في العربية معروف، وهو من سننها في التوسع والثراء، يعمد إليه في الاختزال والاختصار كقولنا : بسمل، فهي كلمة تحكي عبارة : بسم الله الرحمن الرحيم) وحوقل قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. أشار إليه القدماء والمحدثون .(١٠٧)

وتوقف ابن خالويه لدى شذرات منها، ألمح إليها، وأعطى أمثلة لها مثل : حيعل، إذا قال : حي على الصلاة،وحمدل إذا قال : الحمد لله، وقد أكثر من الجعفلة أي من قول: جعلني الله فداك .(١٠٨)

والنحت علم على ميل اللغة إلى الاختزال والإيجاز.

٩- التصحيح اللغوي

وقد رصد ابن خالويه بعض الأخطاء الشائعة في ذلك الإبان، ثم عين مواضع الخطأ، ثم صححها. وهو مؤشر على وعيه للحركة اللغوية المعاصرة له وحرصه الأكيد على تنقية اللغة وسلامتها. قال : وأما قول العامة : نعوذ بالله من طوارق الليل والنهار فغلط، لأن الطروق لا يكون إلا بالليل، والصواب أن يقال : نعوذ بالله من طوارق الليل وجوارح

النهار.(١٠٩)

وأشار إلى الغلط في همز مالا يهمز ونبه عليه : يقولون حلأت السويق، وإنما هو حليت، يشبهونه بحلأت الإبل إذا زجرتها عن الماء، وغلط من همز و (معايش) لأن الياء أصلية فلا تقلب همزة، ومن همزها فقد لحن، وقد روى خارجة عن نافع همزها، وهو غلط.(١١٠)

ومن الجلي أن المؤلف الجليل، رحمه الله، لم يكن ليرصد الأخطاء الشائعة حينئذ، إذ أن ذلك يقتضي مصنفاً يمحض لهذا الشأن، ولكنه كان يلم بالخطأ إذ يرد في السياق اللغوي عرضاً، ويجدها نهزة مواتية يبتهلها كي ينبه على ذلك . وفي العموم تظل منبهة أيضاً أن الانحراف في ألسنة الناس وأقلامهم، العلية والرعاع، فشا واستشرى، فنهض جلة العلماء للذود عن ساح هذه اللغة.

١٠- التنمية اللغوية

ونقصد بهذا بذل التراكيب اللغوية، والمفردات، ابتداء للقارىء، لرفده بهذه المعطيات اللغوية لإغناء معجمه، كيما تكون رداً للشداة بله العلماء، في الأداء النصي المتكامل، وفي الأعمال الأدبية الإبداعية، يمتح منها، حينما يرغب في الكتابة، على نحو ما نلحظه في فقه اللغة للثعالبي، أو المخصص لابن سيده.

تجد ابن خالويه يشرع يقدم لك طائفة من المفردات، لايني يبثها في ثنايا شروحاته ومدارساته، كقوله : اللبن في الوطب، والسمن في النحي، والعسل في الظرف . (١١١) والويس أخف من الويل، والويح كلمة أخف من الويس، والويب كلمة أخف من الويح، وتقول: رأيت أبيلاً أي راهباً متكئاً على وبيل يسوق أفيلاً، والأفيل ولد الناقة . (١١٢)وهو ينفح القارىء بهذه التراكيب في سياقات لغوية حية معيشة وليست مفردات معجمية تشبه أن تكون محنطة. وهو يتلقطها من محفوظاته، ومن موروثه الأدبي العلمي . والبردان برد العافية وبرد الغنى، والأمرّان مرارة الفقر ومرارة العري، والأجوفان البطن والفرج .(١١٣)

وأنت تجد كثيراً من هذه المعطيات اللغوية شاخصة في المصنفات المتقادمة التي تعنى بالتنمية اللغوية في مثل أدب الكاتب لابن قتيبة، أو مصنفات الجاحظ أو الثعالبي أو ابن

فارس، أو ابن جني، ويحمد لأبن خالويه أنه فعلها وأسلكها إلى القارىء في ظلال نص لغوي مقدس، وهو القرآن الكريم، الجاذب بشدة للقارىء، فلعله قدمها على طباق جاذبة مغرية أليفة للقارىء الاعتيادي .

أما المسائل الأسلوبية المبثوثة في إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه فهي تقتضي موقفاً مستقلاً، يضيق بها البحث، ولا يسعف الوقت في تتبعها،و سنفسح لها بحثاً مستقلاً، إن شاء الله. أما القراءات القرآنية التي أفرد لها ابن خالويه صحائف جمة فإن طبيعة المنهج لا تستقيم ومناقشتها، فهي قمينة ببحث مستقل.

وفذلكة الأمر في المسائل اللغوية التي نهض لها ابن خالويه في مصنفه، فالمصنف مواربها،حشد فيها ابن خالويه جملة من تلك المسائل اللغوية التي استنبتها على هامش إعراب الآيات القرآنية، وانتجع شواهدها من القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب، وكانت تنثال رقراقة في الدرس اللغوي، مما جعل هذه المعالجات تترى على ذهن القارىء يتمتع بها من غير إملال، من قبل أنها مؤطرة بالنص اللغوي المحور حول القرآن الكريم وهو أفصح النصوص اللغوية، وأعذبها وأقدسها.

جلى ابن خالويه هذه المسائل على سطح الأعاريب التي كانت المقصد الرئيس، مما جعله يحقن مناهج الدرس اللغوي بدماء جديدة ملذة وطلية، تتسم بالشمول والتعدد والتنوع في إطار التوحد، وهو منهج ممتع يقوم على وصف السلاسل اللغوية وتحليلها من غير تعسف أولي ذراع النص أو افتعال مواقف لغوية مقحمة على النص. لذا يجد القارىء منافع لغوية جمة متنوعة ومغنية.

خاتمة البحث

١. أعرب ابن خالويه ثلاثين سورة من القرآن الكريم ضمنها مصنفه الموسوم (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) بمنهجية لاحبة، تتبع السور الكريمة على سمت تراتيبها في المصحف الشريف، وبطريقة متوالية على وفق ورودها في السورة، خلافاً لما عليه السابقون من تنخب لبعض الآيات التي يحسون فيها إشكالاً في المضمون أو الإعراب، فجاءت طريقته تتبعية ترتيبية، لا تغادر آية . وهذا مما يحمد له.

٢. لئن كان منهج ابن خالويه يستهدف الإعراب في الدرجة الأولى، إلا أنه تخول النص القرآني تخولاً شاملاً يجلي كل ما فيه من معطيات لغوية فاصطنع له روافد متنوعة جعلت مصنفه غنياً بألوان الدرس النحوي يبدأ بإعراب الكلمة القرآنية إعراباً مشتهراً، ليسخي بنا عن الخلافات النحوية، والتوجيهات المتنوعة، توقي الإطالة والإملال، ولينأى بنا عن لي ذراع النص، ليقيمه على وجه مقبول سائغ يذكر الوظيفة النحوية والحركة الأعرابية، ويتخفف من ذكر العوامل أو العلل بأنواعها، كي تظل المعالجة ندية رخية تسلك إلى ذهن المتعلمين بله العلماء بأريحية. ثم يعقبها بدراسات صوتية وصرفية تغني النص وتعمق الدرس، ثم أردفها بدراسات لغوية متنوعة، وأسلوبية ملذة.

فجاء مصنفه غنياً بالمعطيات، فكان مذيقاً صالحاً لا مزيجاً فاسداً. عين منهجه ونهض له بأمانة، لا يحيد عنه ألبته، فاستفرغ فيه جهداً واعباً، واصطنع له منهجاً أميناً، فكان الكتاب لطيفاً في حجمه، كبيراً في منافعه.

٣. يعد منهج ابن خالويه في التحليل اللغوي، رائداً للدراسات اللغوية، التي يؤذن بها المعاصرون، تجنّبنا الدراسات النحوية التنظيرية، أو الأوجه العربية المتعددة التي تغرق الدارس في الخلافات وتصرفه عن جمال النص، ولذة بنائه. لذا يوصي البحث بترسم هذا المنهج في الجامعات، ولا سيما في التطبيقات اللغوية المتكاملة التي يدرسها طلابنا.

٤. أما بشأن تأثر ابن خالويه، بدراسات سابقيه، وقبسه من مناهجهم فتلك مسألة تقتضي دراسة مستأنية، يمكن أن يفسح لها في بحث آخر مستقل.

٥. كان ابن خالويه يعالج مسائل النحو التطبيقية في مستوى لغوي حي معيش، تمتلىء به نفوسنا، وهو القرآن الكريم، فضلاً عما كان يرفد المعالجة بشواهد عربية أصيلة من

عصر الاحتجاج من شعر أو نثر أو حديث شريف، وليس على افتراضات لغوية مجترحة تقوم على إتاحات لغوية ممكنة تسبب اعتياص النحو، وإجفال الدارسين منه. ولكنه مع هذا لم يفسد منهجه بالتوفر على مستويات متداخلة من الأداء اللغوي، بل ظلت دراسته تتمحور حول نص موحد وهو القرآن الكريم.

٦. على الرغم من وسم ابن هشام ابن خالويه بأحد ضعاف النحويين، إلا أننا لم نقع على هنة أو سقطة نحوية، تؤشر على ذلك، ولعل هذا الوصف يرتد إلى قلة مذخوره من المصنفات النحوية التي امتاز بها الكبار آنئذ ولا نعتدها من التنقص القاصد، أو من التفحيش الذي يرتد إلى التنافس الذي تفترضه المعاصرة.

المصادر والمراجع

١. الأشباه والنظائر للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٥م.

٢. الأصوات اللغوية : د .إبراهيم أنيس، الإنجلو المصرية ، ١٩٧٩م.

٣. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) المكتبة الثقافية بيروت.

٤. إملاء ما منّ به الرحمن للعبكري (ت ٦١٦ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩م.

٥. أنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (ت ٦٤٦ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٠م.

٦. الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٩٨٢م.

٧. بغية الوعاة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي ١٩٦٥م.

٨. الترادف في اللغة : حاكم مالك لعيبي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م.

٩. التطور اللغوي : د. رمضان عبد التواب، الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض ١٩٨٢م.

١٠. الجمل للزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) تحقيق د. علي الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل ١٩٨٤م.

١١. الجنى الداني للمرادي(ت٧٤٩ هـ) تحقيق د. فخر الدين قباوة وزميله، دارالآفاق بيروت.

١٢. الخصائص لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) حققه محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت .

١٣. دراسة الصوت اللغوي : د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٥م.

١٤. سر صناعة الإعراب لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الباني الحلبي ١٩٥٤م.

١٥. شذا العرف في فن الصرف : للشيخ الحملاوي، الطبعة السادسة عشرة ١٩٦٥م.

١٦. شرح الكافية للرضي الإستر اباذي (ت ٦٨٦ هـ) إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

١٧. شرح المفصل لابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) عالم الكتب، بيروت.

١٨. الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، ١٩٦٥م.
١٩. في صوتيات العربية: د. محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان .
٢٠. الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠ هـ) تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٦م.
٢١. كلام العرب: د. حسن ظاظا، الإسكندرية ١٩٧١م.
٢٢. مجلة جرش للبحوث والدراسات، العدد الأول ١٩٩٦م.
٢٣. مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الثامن العدد السادس ١٩٩٣م.
٢٤. مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق برجستراسر، المطبعة الرحمانية ١٩٣٤م.
٢٥. المدخل إلى علم الأصوات: د. صلاح الدين حسنين، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
٢٦. مدرسة الكوفة د. مهدي المخزومي، البابي الحلبي، طبعة ثانية ١٩٥٨م.
٢٧. المزهر في علوم اللغة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين دار الفكر.
٢٨. مشكل إعراب القرآن الكريم، مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) تحقيق ياسين السواس، دمشق ١٩٧٤م.
٢٩. معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي وزميله، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٠م.
٣٠. معاني القرآن للأخفش (ت ٢١٥ هـ) تحقيق د. فائز فارس، الطبعة الثانية ١٩٨١م.
٣١. معجم الأدباء : ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٢. مغني اللبيب لابن هشام ت٠ (ت ٧٦١ هـ) تحقيق د. مازن المبارك وزميله، دار الفكر بيروت ١٩٧٩م.
٣٣. من أسرار اللغة : د. إبراهيم أنيس، الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٥م.
٣٤. المنهج الصوتي للبنية العربية : د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م.
٣٥. نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن ١٩٨٥م.
٣٦. وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) تحقيق د . إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م.

الهوامش

(١) معجم الأدباء ٢٠١/٩، إنباه الرواة ٣٢٤/١، وفيات الأعيان ١٧٨/٢ وبغية الوعاة للسيوطي ٥٢٩/١.

(٢) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لأبن خالويه، المكتبة الثقافية، بيروت ص٣.

(٣) مغني اللبيب لابن هشام ٤٠١/١.

(٤) نفسه ٢٦١/١.

(٥) دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة ١٩٨٥م ص٣٢٤.

(٦) الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس ١٧٨.

(٧) الفكر الصوتي عند السيوطي : د. عبد القادر مرعي خليل، مؤتة للبحوث والدراسات المجلد الثامن، العدد السادس سنة ١٩٩٣ص١٤٠.

(٨) آراء الفراء النحوية من خلال كتابه معاني القرآن : د. فارس البطاينة، مجلة جرش للبحوث والدراسات العدد الأول ١٩٩٦م ص١٣٦.

(٩) شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي، د. يحيى القاسم، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الثامن، العدد السادس ١٩٩٣م ص١٦٣.

(١٠) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ص٦.

(١١) نفسه ص١٨.

(١٢) معاني القرآن للفراء ٢٢٨/٢ وينظر إملاء ما من به الرحمن للعكبري ٤/٢.

(١٣) همع الهوامع للسيوطي ١/ ٦٠ الأشباه والنظائر للسيوطي ٣/ ٦٥.

(١٤) إعراب ثلاثين سورة ص ١٨ - ١٩.

(١٥) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص٣.

(١٦) سورة البقرة آية ١٨٥.

(١٧) النساء ٣٧.

(١٨) هود ٨١.

(١٩) إعراب ثلاثين سورة ص١١٠.

(٢٠) نفسه ص ١٨١.

(٢١) العصر ٢.

(٢٢) إعراب ثلاثين سورة ص ١٧٥.

(٢٣) نفسه ص٢٨.

(٢٤) الفجر ١٩.

(٢٥) إعراب ثلاثين سورة ص٨.

(٢٦) نفسه ص ١٨٥.

(٢٧) الصمد ١.

(٢٨) إعراب ثلاثين سورة ٢٢٩.

(٢٩) نفسه ص ١٢٢.

(٣٠) الطارق ٦.

(٣١) إعراب ثلاثين سورة ٤٥.

(٣٢) شذا العرف في فن الصرف للحملاوي، الطبعة السادسة عشرة ص١٦٥، والمنهج الصوتي للبنية العربية د. عبد الصبور شاهين ص١٧٦.

(٣٣) إعراب ثلاثين سورة ص ٦ - ٧.

(٣٤) نفسه ص ١٢ - ١٣.

(٣٥) الكافرون ٥.

(٣٦) إعراب ثلاثين سورة ص ٢١٤، وينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية د. عبد الصبور شاهين ص٢٠٨، وفي صوتيات العربية د. محيي الدين رمضان ص١٤٠.

(٣٧) المدخل إلى علم الأصوات، د. صلاح الدين حسنين، الطبعة الأولى ١٩٨١ ص٨١، التطور اللغوي:د. رمضان عبد التواب ص٣٧.

(٣٨) إعراب ثلاثين سورة ص٧، وينظر الأشباه والنظائر للسيوطي ١٣/١.

(٣٩) الشمس ١٠.

(٤٠) إعراب ثلاثين سورة ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٤١) التكاثر ٦.

(٤٢) إعراب ثلاثين سورة ص ١٦٩ - ١٧٢.

(٤٣) نفسه ص ٧١ - ٧٢.

(٤٤) نفسه ص ٣، ص٢٣٣ - ٢٣٨.

(٤٥) الأعراف ١٠.

(٤٦) إعراب ثلاثين سورة ص٤٩.

(٤٧) الفجر ٦.

(٤٨) إعراب ثلاثين سورة ص٩٠.

(٤٩) الليل ١١.

(٥٠) إعراب ثلاثين سورة ص ١١١، ٢٣٠ ، ٢٣٢، ٢٣٨.

(٥١) القارعة ١٠.

(٥٢) إعراب ثلاثين سورة ص١٦٤.

(٥٣) نفسه ص ١٧٤.

(٥٤) نفسه ص ١٧٤.

(٥٥) الطارق ١٧.

(٥٦) إعراب ثلاثين سورة ص٥٣.

(٥٧) نفسه ص ١٦٠.

(٥٨) نفسه ص ٢٦.

(٥٩) نفسه ص ٩٦.

(٦٠) نفسه ص ٢٠٦.

(٦١) نفسه ص ١٢١.

(٦٢) العلق ١.

(٦٣) سر صناعة الإعراب لابن جني ١٥٠، والمغني لابن هشام ١١٢/١، الجنى الداني للمرادي ص٤٨.

(٦٤) شرح المفصل لابن يعيش ٧٤/٤ همع الهوامع للسيوطي ١٩/٢، مدرسة الكوفي مهدي المخزومي ص٣١٤.

(٦٥) إعراب ثلاثين سورة ص ٥٤.

(٦٦) نفسه ص ٥٥ ، ٦٠.

(٦٧) الشمس ٩.

(٦٨) البلد ٤.

(٦٩) الجمل للزجاجي ص٤١ ، الهمع ١٠/١.

(٧٠) إعراب ثلاثين سورة ص٦٢.

(٧١) نفسه ص ٦٧.

(٧٢) نفسه ص ٨٤.

(٧٣) نفسه ص ٦٩ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

(٧٤) نفسه ص ١٧٩.

(٧٥) نفسه ص ١٥٦ ، والكتاب لسيبويه ٣٨/٢ ، ٣ /٢٢٠.

(٧٦) نفسه ص ٩٦ ، ١٠٧ ، ١١٦ ، ١٣٩.

(٧٧) نفسه ص ١٥٠.

(٧٨) نفسه ص ٢٧.

(٧٩) الإنصاف في مسائل الخلاف ٥٤٩/٢، شرح الكافية ٢٣١/٢ .

(٨٠) إعراب ثلاثين سورة ٢١٢.

(٨١) نفسه ص ٩٧ ، ١١١.

(٨٢) نفسه ص ١٧٢.

(٨٣) نفسه ص ١٥٦.

(٨٤) نفسه ص٣٠.

(٨٥) المسد ٤.

(٨٦) إعراب ثلاثين سورة ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٢٢٥.

(٨٧) معاني القرآن الكريم للفراء ٢٦٥/٣.

(٨٨) معاني القرآن الكريم للأخفش ٣٧٩/٢، مشكل إعراب القرآن الكريم لمكي بن أبي طالب، ٤٧٦/٢.

(٨٩) إعراب ثلاثين سورة ص٤ ، ٣٢ ، ٦٨ ، ١٩٦.

(٩٠) نفسه ص ١٢ ، ١٣ ، ٨٥ ، ٢٩ ، ٨٢ ، ١٦٣، ١٧٧ ، ٢١٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٦ ، ١٠٨ ، ٢٠٥ ، ٦٨ ، ١٧٥ ، ٧٦ ، ٩٦ ، ١٣٣ ، ٨٥ ، ٢٣٤ ، ١١١ ، ١٩٣.

(٩١) نفسه ص ٢٠.

(٩٢) نفسه ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠.

(٩٣) نفسه ص ٣١.

(٩٤) نفسه ص ٥٢.

(٩٥) نفسه ص ٣٥.

(٩٦) الخصائص ٣٥٧/١، الصاحبي لابن فارس ص ١٤٨.

(٩٧) نزهة الألباء لابن الأنباري ص٢٣١، والصاحبي ٣٢ - ٣٠٣، المزهر ٤٠٥ والترادف في اللغة حاكم مالك. ص١٤٦.

(٩٨) المزهر للسيوطي ٤٠٢/١.

(٩٩) إعراب ثلاثين سورة ص١٨٦، وتنظر الصحائف : ٩٩ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٨٣ ، ٢٤٤، ٢٣٩.

(١٠٠) نفسه ص ٢١ ، ٢٤ - ٢٥.

(١٠١) نفسه ص ١٧١ ، ١٤٦ ، ٢٤٠ ، ١٢٦.

(١٠٢) ينظر في هذا الترادف في اللغة الحاكم مالك لعيبي ص ٣١ وما بعدها.

(١٠٣) إعراب ثلاثين سورة ص ٣٦ ، ٤٦ ، ٩٣ ، ١٤٦.

(١٠٤) نفسه ص٤ ، ١٣ ،و ٦٤ ، ٦٦ ، ١٠٦ ، ١٩٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٧.

(١٠٥) نفسه ص ٤ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٨٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١١٧.

(١٠٦) نفسه ص١٩.

(١٠٧) الصاحبي ١٧٦، المزهر ٣٣٢/١، من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ٨٦، كلام العرب، حسن ظاظا ١٧٩.

(١٠٨) إعراب ثلاثين سورة ص١١.

(١٠٩) نفسه ص ٣٩.

(١١٠) نفسه ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٩.

(١١١) نفسه ص ٦٣ ، ٣٣ ، ١٧ ، ٦٣ ، ٧٦ ، ٩٦.

(١١٢) نفسه ص ١٧٩ ، ١٩٣.

(١١٣) نفسه ص ١٧٧.